لقاءات رمضان ١٤٣٤هـ

اللقاء السابع عشر : تفسير الآيات ٥٠-٧٣ من سورة الأنبياء

أ.أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

/http://www.muslimat.net

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمده سبحانه ونشكره ونتأمَّل أن يعاملنا بشكره ومغفرته، فهو الشَّكور الغفور، الحليم الشَّكور، ما أحلَمه علينا، وما أضْعَفَ عباداتنا وشُكرنا وذِكرنا، لكنَّه سبحانه وتعالى العظيم الغفور الرَّحيم الودود، يتودَّد لعباده بالنِّعم، ويشكرهم على قليل العمل، وكلُّ عملٍ مهما بلغ، فهو قليلٌ في حقِّه سبحانه وتعالى، ومِن أعظم مايُشكَر عليه سبحانه وتعالى أن حبَّب إلينا الإيمان وزيَّنه في قلوبنا، وكرَّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، **ومن أعظم النِّعم نعمة الإيمان،** التي بها يزول عن العبد هذا الحجاب الكثيف الغليظ بينه وبين الحقيقة.

فها هي أوائل سورة الأنبياء تُخبِر بحقيقة عظيمة، **يا حسرة** من لم يؤمن بها، **يا حسرة** من لم يرَها أمام عينه بيِّنة واضحة!

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ ما ألَذَّ الإيمان، يكشف عنك هذه الحُجُب، ويوصلك إلى التعامل مع الحقائق كما ينبغي. للإيمان طعم لا يذوقه إلا مؤمن قد قوي إيمانه، ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾، أمَّا أهل الإيمان فما يأتيهم من ذِكرٍ إلا يستقبلونه فيُحرِّك قلوبَهم ويزيدهم قوة إلى قوتِّهم، ويزيدهم طاعة إلى طاعتهم، وكأنَّهم يشهدون اللقاء فيحملون همَّه، فلا تكون قلوبهم لاهية.

مايأتيهم هؤلاء الغافلين ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ أما أهل الإيمان فقد متَّعهم الله **بالنِّعمة العظيمة**، ألا وهي **نعمة الإيمان**، يؤمنون هم يعاملون مَنْ، يعرفون أنَّ الله لم يخلقهم عبثًا، يعرفون أنَّهم إليه راجعون، يقفون في الصلاة فيشعرون أنَّهم بين يديِّ الله، يُحسِنون في صلاتهم هنا، ويُصَلُّون ويعبدون كأنَّهم يرون ربَّهم، فلمَّا يرونه على الحقيقة يحصل لهم اللِّقاء.

فاللَّهُمَّ اجعلنا ممَّن حسُن لقاؤهم بك، وأحسِن وفاداتنا عليك.

ما ألذَّ الإيمان!

- له حلاوة تجعل العبد في حال من البصيرة والنُّور
- يشتغل بما يجب أن يشتغل به
- لا يلتهِ قلبه عما خُلق له
- ولما تأتيه البصائر تزيده بصيرة
- ولما تأتيه تربية الله تزيده استقامة
- يعِش في الأرض وقلبه في السماء
- يعامِل الله ولا يعامِل أحدًا غيره
- ينتظر البركة من الله ولا يلتفت لغيره
- يضع آماله عند باب الله ولا يطمع في غيره.

ما ألذَّ الرجاء بالله وانتظار رحمة الله، والثقة في تدبيره، ما ألذَّه لأهل الإيمان، إنَّ هذه الغيوب التي هي صُلب إيمان العبد ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ [البقرة : ١-٣]

هذه الأمور التي غابت عن الخلق، أهل الإيمان ليسوا في حال غياب عنها، لكن انظر يمنة ويسرة ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ ﴾ يتناجون، ولا ينظرون للأدلَّة التي معه، ولا يفكِّرون في الحقائق التي تدور حولهم؛ طُمس عليهم.

فاللَّهُمَّ أصلِح قلوبنا وأبعد عنها الغفلة والالتهاء، واجعلنا من الصادقين الذين إذا رأوا الحقائق استدلُّوا بها ووصلوا بها إليك، اللهم آمين.

هذه السورة العظيمة ومطلعها العظيم كم نحن بحاجة إلى تكراره؛ فحساب الخلق قريب، والله سريع الحساب، والدنيا بُلغة منغصة، سيُسأل الخلق كم لبثتم؟ يقولون: اسأل العادِّين، من سرعتها لا يعلمون، اقترب حقاً اقترب!

فعلينا بإزالة الحُجُب، وتقوية الإيمان، ومعاملة الرحمن، نتعرَّف عليه من القرآن، ونرى آثار كماله في كل شيء يقع عليه بصرُنا أو تدركه عُقولنا، هكذا تكون زالت الغفلة، ذهب الالتهاء، هكذا تكون لا

تلعب، هكذا تكون تفهم لماذا أنت في هذة الحياة، **لا تحسب أنَّ الله خلقنا عبثًا**، كل هذا الذي حولك يشهد بالنظام العجيب العظيم.

فاللَّهُمَّ نجِّنا من الغفلة ومن الالتهاء ومن اللَّعِب، واجعلنا ممَّن أحسن التعامل مع كتابك العظيم، ولا نكُن ممَّن يأتيهم ذكرٌ من ربِّهم فيستمعوه وهم يلعبون، لاهيةً قلوبهم، اللهم آمين.

وفي هذه السورة العظيمة يأتينا خبرٌ عظيمٌ عن خليله إبراهيم، ونزيد إيمانًا ويقينًا وحُبًا لإبراهيم عليه السلام لأنَّنا نُحب ما يُحب الله، ونتقرَّب إلى الله بحُب أنبيائه.

فسيكون إن شاء الله مُدارستنا اليوم لقصَّته مع قومه التي وردت في سورة الأنبياء، ونبتدئ من قوله تعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ الأنبياء: ٥٠ - ٧٣

﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ وهذا أكيد إشارة إلى القرآن، ففي أول السورة ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم ﴾ وهنا إشارة إلى القرآن أنَّه ذِكْرٌ مُبارك، وسنرى بالتفصيل آثار بركته.

ثم يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ **صفة عظيمة من الصفات** لإبراهيم عليه السلام أنَّ الله آتاه الرُّشد، آتاه عقل الرُّشد، فهو يسترشد بظواهر الأمور على ما ورائها، وقد مرَّ معنا شيء من رشده، وكيف حاجَّ الملك الكافر، وكيف حاجَّ قومه الذين يعبدون غير الله، وسنرى هنا أيضاً شيئًا من رشده.

﴿ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ وانظر إلى عقل رشده، كيف يستنكر المنكر، وكيف يستعمل عقله فيما يدلُّه على الطريق الصحيح.

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ عرِّفوا لي هذه التماثيل أي شيء تكون؟

﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾ فأيُّ قول هذا؟ وإن وجدتم آباءكم لها عابدة ماذا سيكون؟!

﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ فأنْ يقول لهم أنَّكم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين، **ومن آفات النَّفْس العظيمة أنَّها ترفض التضليل لما يكون الإنسان قد اختاره**، -الإنسان لما يكون طليق حر لم يختَر شيء، تكون نفسه لم تيبس بعد على الإلف والعادة، لكن لما يفتح الإنسان عينيه على إلف معين وعادة معينة تَعْظُم في نفسه- وإذا أتى أحد يستنكرها لا تقبل نفسه الاستنكار؛ حَمِيَّةً للنفس وللآباء، مجرد هوى.

فلذلك قالوا له: ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾ أي أنَّ هذا كلام لا يأتي إلا من لاعب، فردَّ عليهم ورُشده معه ويُظهِر آثار الرشد: ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾

إذن بعدها أشار إلى الحقيقة؛ أنَّ الإله الذي يستحقُّ أن يكون إلهًا هو الربُّ الذي ربَّاكم، ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ ﴾ ربُّكم أنتم هو ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ **ثم أراد بعقل رشده أن يبيِّن لهم الضلال الذي هم فيه فكاد لأصنامهم، والكيد** هنا لإظهار الحق ممدوح، يُمدح عليه صاحبه، ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ ﴾ ، **لِعِلَّة**: ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ ، أراد أن يدلّهم عن طريق تحريك عقولهم، وهو الذي أُوتي عقل الرُّشد، هم ما معهم إلا

عقل الإدراك فقط، أراد أن يُثير عقل رشدهم فيرشدون، قالوا لما عادوا ووجدوا أصنامهم بهذه الصورة:

﴿ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾

هؤلاء الملأ يتناقشون بعد ما وجدوا أصنامهم، من فعل هذا؟ قالوا: سمعنا فتى يذكرهم، أي يذكرهم بسوء، يقال له إبراهيم.

﴿ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ أي يريدون أن يؤدِّبوه تأديبًا يمنع غيره من التَّعدِّي على هذة الأصنام، وهذا حال من يُعَظِّم شيء، لما يُبتلى الإنسان بتعظيم شيء غير الله تجده يدافِع ويُنافِح ويُأدِّب أي أحد يتعدَّاه، لكن لما يضعُف تعظيم الله في القلوب ترى ما ترى من السَّماح لكل أحد أن يتعدى على حقِّ الله وعلى القرآن وعلى النبي وعلى الصحابة، فاللَّهُمَّ نجِّنا من الفتن وذرياتنا والمسلمين.

قالوا الآن على أعين الناس:﴿ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ قال وهذا من باب التنزُّل مع الخصم وتحريك العقل، وطلب الرُّشد، ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾ اسألوا الآلهة المكسَّرة، اسألوهم إن كانوا ينطقون!.

﴿ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ نعم! تبيَّن لهم الحق، ثَابت عقولهم، أتى رُشدهم، لكنَّه لم يطول بسبب الهوى، **بسبب الهوى** يكذب الإنسان على نفسه، **بسبب الهوى** تظهر الحقائق لكن يأتي الإنسان فيبذل جهده أن يُخْفِيها.

فما أعظم الكذب على النفس حتى لمَّا تتبيَّن الحقيقة وتلمع في العقل، تأتي الأهواء فتطفئ هذا اللَّمعان.

﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ يردُّون عليه:

﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ إذن هو ماينطق، لا يأمر ولا ينهى، هو بنفسه ما استطاع أن يرد عن نفسه الإيذاء.

﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أين عقل الرشد؟!

﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ قالوا حرِّقوه هذا مايستطيعونه بالقُوَّة، وهنا يظهر نصرة الله لأهل الحق: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ هو كاد لكن أراد إظهار الحق في كيده، وكاد لمن يستحقُّوا أن يكيد بهم، أنَّه كاد بالأصنام لكن هم أرادوا كيد الحقّ فجعلناهم الأخسرين.

﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ ونجيناه ولوطًا، وهو مَن آمن مِن قومه، فخرج من أرضه للأرض المباركة أرض الشام، ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾

فما أعظم هذه السلالة وما أكرمها على الله، وكيف كان حاله مع قومه ثُمَّ كيف نصره الله وجعله إمامًا هو وذريته يَهدُون بأمر الله.

بعدما فهمنا الآيات على وجه العموم، نبدأ كالعادة في قراءة تفسير الشيخ السعدي، يزيد الأمر بيانًا ويُجيب على بعض الاستفهامات التي مرَّت معنا، وأيضًا تظهر لنا منه الفوائد.

والحمد لله رب العالمين أن يسَّر لنا طرق العِلم وسهَّل لنا أبوابه، فهو الذي يُعلِّم سبحانه وتعالى وهو الذي يُفهِّم، ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ ﴾ .

يقول: "﴿ وَهَٰذَا ﴾ أي: القرآن

﴿ ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ فوصفه بوصفين جليلين:

١- كونه ذِكرًا يُتَذكَّر به جميع المطالب، من معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومن صفات الرسل والأولياء وأحوالهم، ومن أحكام الشرع من العبادات والمعاملات وغيرها، ومن أحكام الجزاء والجنة والنار، فيتذكر به المسائل والدلائل العقلية والنقلية".

كونه ذكرًا ، يُتذكَّر بالقرآن جميع المطالب، **ماهي هذه المطالب ؟**

- معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، إذن هذا أول وأعظم المطالب الذي تتذكَّرها بالقرآن.
- صفات الرسل والأولياء وأحوالهم، من أجل أن تكون أمام عينيك فتسير على خُطاهم.
- أحكام الشرع من العبادات والمعاملات وغيرها، نحن نحتاج جميعًا أحكام الشريعة تحكمنا ونقول أمامها سمعًا وطاعة.
- أحكام الجزاء والجنة والنار، لأنها مما تدفعنا للاستقامة والقيام بالعمل.
- يُتَذَكَّر به المسائل والدلائل العقلية والنقلية.

الأمر غيب، الإيمان الذي أُمِرنا به أمرًا غيبيًّا، أمر الغيب كيف نؤمن به؟ كل إنسان يأتيك يدَّعي دعاوى وتكون غيبيَّة ويقول هذا حق الذي أقوله!.

نقول: كلُّ حقٍ له دلائل، وما أعظم دلائل الحقِّ التي مع المسلمين، دلائل عقلية ودلائل نقلية.

دلائل عقلية: كل عقل سليم يجد ما يدله على أنَّ هذا الكون له خالق، وآثار كمال صفاته واضحة في كل شيء.

وهناك **دلائل نقلية:** فكل أهل الرسل السابقين يوافقون على أمور كثيرة وردت في القرآن، والقرآن والرسول والرسالة كلها أمور ممَّا اتُّفق عليه في الكتب السابقة، وذُكِر هذا الكتاب العظيم وذُكر نبيُّنا الكريم.

على كل حال هذا القرآن نتذكَّر به جميع المطالب وقد أوجزها في خمسة مطالب.

"وسماه ذكرًا؛ لأنَّه يُذكِّر ما ركزه الله في العقول والفطر، من التصديق بالأخبار الصادقة، والأمر بالحَسَن عقلًا والنهي عن القبيح عقلًا وكونه".

ويقول أن الله عزَّ وجلَّ سمَّاه ذكرًا، لأنَّه يُذَكِّر ما ركزه الله في العقول والفطر، أي: أنَّ الله عزَّ وجلَّ فطرنا فطرة يأتي القرآن يُحَرِّكها، **وهذا كلام عظيم نقوله باختصار الله عزّ وجلّ فطر النفوس على أمور، من هذه الأمور:**

- التصديق بالأخبار الصادقة التي لها دلائل، فنجد الأخبار في القرآن عن الله وتجد دلائلها في كل شيء.
- الفِطَر مفطورة على حُبِّ الحَسَن، أي أنَّ الحسن في العقل واضح، الأشياء الحسنة التي تستحسنها كل العقول واضحة، تأتي تجد الشريعة، تجد القرآن يأمر بكل حسن وينهى عن كل قبيح، فأتى القرآن ذكر به حرَّك الفطرة التي يوجد فيها هذة الحقائق.

٢- ﴿ مُّبَارَكٌ ﴾ يقتضي كثرة خيراته ونمائها وزيادتها، ولا شيء أعظم بركة من هذا القرآن، فإنَّ كل خير ونعمة، وزيادة دينية أو دنيوية أو أخروية، فإنَّها بسببه، وأثر عن العمل به"

إذا كان القرآن مباركًا، كل شيء يزيد خير ونعمة حقيقي إنَّما هو بسبب القرآن، وأثرٌ عن العمل به، حتى وقتك يزيد بركة أثر قراءة للقرآن، كلما زاد وِردنا في القرآن، زاد تحصيلنا لكلِّ شيء فيه خير.

"فإذا كان ذكرًا مباركًا، وجب تلقِّيه بالقبول، والانقياد، والتسليم، وشكر الله على هذه المنحة الجليلة، والقيام بها،" وهذا فيه من التقصير ما فيه، نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعلنا من الشاكرين لنعمائه.

"واستخراج بركته، بأي شيء نستخرج بركته؟ **بتعلم ألفاظه ومعانيه".** إذن هذا كتاب مبارك، ماذا عليك؟ أن تتعلَّم ألفاظه ومعانيه.

"أما مقابلته بضدِّ هذه الحال من الإعراض عنه، والإضراب عنه صَفْحًا، وإنكاره، وعدم الإيمان به، فهذا من أعظم الكفر وأشدّ الجهل والظلم، ولهذا أنكر تعالى على من أنكره فقال: ﴿ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ ".

ثم تأتي هذه القصة العظيمة ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ إلى آخر هذه القصة، وهو قوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾

يقول : "لما ذكر تعالى موسى ومحمدا صلى الله عليهما وسلم وكتابيهما قال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل إرسال موسى ومحمد ونزول كتابيهما، فأراه الله ملكوت السماوات والأرض، وأعطاه من الرشد، الذي كمل به نفسه، ودعا الناس إليه، ما لم يؤته أحدا من العالمين، غير محمد".

هذا الرشد ماذا فعل به؟ كمل به نفسه ودعا الناس إليه.

"وأضاف الرشد إليه، لكونه رشدا، بحسب حاله، وعلو مرتبته، وإلا فكل مؤمن له من الرشد بحسب ما معه من الإيمان."

إذن **عقل الرشد** هذا من أين يأتي؟ من **الإيمان**، أما **عقل الإدراك** **فموجود عند كل الناس**.

نصيبك من عقل الرشد على قدر إيمانك.

"﴿ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ أي: أعطيناه رشده، واختصصناه بالرسالة والخُلَّة، واصطفيناه في الدنيا والآخرة، لعِلْمِنا أنَّه أهل لذلك، وكفء له، لزكائه وذكائه،" زاكي النفس وذكي يستخدم عقله في بيان الحق، ولهذا ذكر محاجته لقومه، ما تبين به زكائه زاكي النفس وذكاءه في استخدام الحقائق وعرضها.

"ولهذا ذكر محاجته لقومه، ونهيهم عن الشرك، وتكسير الأصنام، وإلزامهم بالحجة، فقال: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ﴾ التي مثلتموها، ونحتموها بأيديكم، على صور بعض المخلوقات ﴿ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ مقيمون على عبادتها، ملازمون لذلك، أي أن العاكف يقيم على العبادة يلازم العبادة .

فما هي؟ وأي فضيلة ثبتت لها؟ وأين عقولكم، التي ذهبت حتى أفنيتم أوقاتكم بعبادتها؟ والحال أنكم مثلتموها، ونحتموها بأيديكم، فهذا من أكبر العجائب، تعبدون ما تنحتون". أي: تُعَظِّمون شيئًا أنتم نحتوه بأيديكم، وتصفونه بوصوفات الكمال ويديكم التي نحتته، عجائب!.

"فأجابوا بغير حجة جواب العاجز الذي ليس بيده أدنى شبهة، فقالوا: ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾ كذلك يفعلون، فسلكنا سبيلهم، وتبعناهم على عبادتها، ومن المعلوم أن فعل أحد من الخلق سوى الرسل ليس بحجة، ولا تجوز به القدوة، خصوصًا، في أصل الدين، وتوحيد رب العالمين، أي: وجدنا من قبلنا، ماذا يكونون لنا من قبلنا؟ **الحجة علي هي أفعال الرسل،** أما غيرهم فهم بشر خطؤهم أقرب من صوابهم.

ولهذا قال لهم إبراهيم مُضلِّلًا للجميع: ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: ضلال بيِّن واضح، وأي ضلال، أبلغ من ضلالهم في الشرك، وترك التوحيد؟" فانظر الآن من يعبد المقبورين ويتمسح بهم ويناديهم، فأي ضلال أبين من ذلك؟!

أي: فليس ما قلتم، يصلح للتمسك به، وقد اشتركتم وإياهم في الضلال الواضح، البين لكل أحد، ﴿قَالُوا﴾ على وجه الاستغراب لقوله، والاستعظام لما قال، وكيف بادأهم بتسفيههم، وتسفيه آبائهم -أمر عاشوه طويلاً ولم يتجرأ أحد على تسفيهه، إنما ساروا سيراً متتابع عليه-: **﴿أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاعِبِينَ﴾ أي: هذا القول الذي قلته، والذي جئتنا به، هل هو حق وجِد؟ أم كلامك لنا، كلام لاعب مستهزئ، لا يدري ما يقول؟ وهذا الذي أرادوا، وإنما رددوا الكلام بين الأمرين.**

ما معنى ردَّدوا الكلام بين الأمرين؟ أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين، هذ ترديد الكلام بين هذا وهذا، ردَّدو كلام إبراهيم إمَّا أنت بالحق إمَّا أنت من الاعبين. لماذا؟

"لأنهم نزلوه منزلة المتقرر المعلوم عند كل أحد، أن الكلام الذي جاء به إبراهيم، كلام سفيه لا يعقل ما يقول.

فردَّ عليهم إبراهيم ردًا بيَّن به وجه سفههم، وقلة عقولهم فقال: ﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ فجمع لهم بين الدليل العقلي، والدليل السمعي".

الدليل العقلي:

"أما الدليل العقلي، فإنه قد علم كل أحد حتى هؤلاء الذين جادلهم إبراهيم، أن الله وحده، الخالق لجميع المخلوقات، من بني آدم، والملائكة، والجن، والبهائم، والسماوات، والأرض، -

هذا مركوز في الفطر لا يمكن إنكاره- **المدبِّر لهنَّ، بجميع أنواع التدبير، فيكون كل مخلوق مفطورًا مدبرًا متصرفًا فيه، ودخل في ذلك، جميع ما عُبد من دون الله، أفيليق عند من له أدنى مُسكة من عقل وتمييز، أن يعبد مخلوقًا متصرِّفًا فيه، لا يملك نفعًا، ولا ضرًا، ولا موتًا، ولا حياةً، ولا نشورًا، ويدع عبادة الخالق الرازق المدبر؟"**.

إذن ربكم أنتم هو الذي خلق السموات والأرض، هو رب السموات الأرض.

الدليل السمعي:

"أما الدليل السمعي: فهو المنقول عن الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإن ما جاءوا به معصوم لا يغلط ولا يخبر بغير الحق، ومن أنواع هذا القِسم شهادة أحد من الرسل على ذلك فلهذا قال إبراهيم: ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ أي: أن الله وحده المعبود وأن عبادة ما سواه باطل، ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ وأي شهادة بعد شهادة الله أعلى من شهادة الرسل؟ خصوصًا أولي العزم منهم خصوصًا خليل الرحمن".

ومن أنواع هذا القسم الذي جاء به الأنبياء شهادة أحد من الرسول على ذلك.

إذن أتى لهم بدليلين:

١) ﴿رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ أنتم مستقر في قلوبكم أنَّ الذي خلق السموات والأرض هو الله؛ إذن ربكم ورب هؤلاء هو الذي خلق السموات الأرض .

٢) ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ وهو نبيّ، وأيُّ شهادة بعد شهادة الله أعلى من شهادة الرسل؟ خصوصًا أولي العزم منهم، خصوصًا خليل الرحمن.

"ولما بيّن أن أصنامهم ليس لها من التدبير شيء أراد أن يريهم بالفعل عجزها وعدم انتصارها وليكيد كيدًا يحصل به إقرارهم بذلك فلهذا قال: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ أي أكسرها على وجه الكيد، ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾ عنها إلى عيد من أعيادهم، فلما تولوا مدبرين، ذهب إليها -إلى الأصنام- **بخفية.**

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ أي كِسَرًا وقِطَعًا، وكانت مجموعة في بيت واحد، فكسرها كلها، ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ أي إلا صنمهم الكبير، فإنه تركه لمقصد سيبينه،"

ثم يشير الشيخ إلى شيء مهم في قوله: ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾

وتأمّل هذا الاحتراز العجيب، فإن كل ممقوت عند الله، لا يطلق عليه ألفاظ التعظيم، إلا على وجه إضافته لأصحابه، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كتب إلى ملوك الأرض المشركين يقول: " إلى عظيم الفرس "،"إلى عظيم الروم " ونحو ذلك، ولم يقل " إلى العظيم " وهنا قال تعالى: ﴿ إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ ﴾ ولم يقل " كبيرا من أصنامهم " فهذا ينبغي التنبيه له، والاحتراز من تعظيم ما حقره الله، إلا إذا أضيف إلى من عظمه".

نخرج بنتيجة: الاحتراز من تعظيم ما حقَّره الله، ينبغي التنبُّه له إلا إذا أُضيف إلى من عظَّمه، تقول: عظيمهم، سيِّدهم، عظيم الفُرس، عظيم الرُوم، عظيم أهل الكفر، لكن هؤلاء الذين حقَّرهم الله ما تطلق عليهم ألفاظ التعظيم، فإذا سمعت هذا قلت: ويل لنا مما يفعل الإعلام والمتمسلمين الذين يظهرون حرصهم على الإسلام، فتُصاب بصاعقة لما تسمع أنَّهم يُزكُّون شرّ البريَّة، ثمَّ يأتون يقولون: لا، أنتم ما عليكم من دينهم!. كيف ما علينا من دينهم؟!! لا تُزَكِّ لي إلا من زَكَّاه الله، فإذا كان ما نقول إلا كبيرهم هم لكن ما نطلقه علينا الكبير، احترازًا من تعظيم ما حقَّره الله، فكم في هذه الفائدة من شأن علينا العناية به. لابد أن نتنبه والله عزّ وجلّ وكيلنا في حفظ عقائدنا نحن وذرياتنا.

"وقوله: ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ أي ترك إبراهيم تكسير صنمهم هذا لأجل أن يرجعوا إليه، ويستَمْلُوا حجته، ويلتفتوا إليها، ولا يعرضوا عنها ولهذا قال في آخرها: ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ ، فحين رأوا ما حل بأصنامهم من الإهانة والخزي ﴿ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فرموا إبراهيم بالظلم الذي هم أولى به -هم الظالمين ويقولون من فعلها ظالم، ظالمين حيث وضعوا العبادة في غير موضعها فتركوا عبادة الله وعبدوا غيره- **حيث كسرها ولم يدروا أن تكسيره لها من أفضل مناقبه ومن عدله وتوحيده، وإنما الظالم من اتخذها آلهة، وقد رأى ما يُفعل بها".**

هذه الثلاثة أمور في تكسيره الأصنام:

١. أن من أفضل مناقبه تكسير الأصنام.
٢. وهذا من عدله حيث أراد وضع الأمر في موضعه.
٣. وهذا من توحيده.

"﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ ﴾ أي: يعيبهم ويذمهم، ومن هذا شأنه لا بد أن يكون هو الذي كسرها أو أن بعضهم سمعه يذكر أنه سيكيدها -أي إما أنهم سمعوا كلامه أنه يريد أن يكيدها، أو سمعوا أنه يسُبها- **﴿ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ فلما تحققوا أنه إبراهيم ﴿ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ ﴾ أي: بإبراهيم**

﴿ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ ﴾ أي بمرأى منهم ومسمع، ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴾ أي: يحضرون ما يصنع بمن كسر آلهتهم، وهذا الذي أراد إبراهيم وقصد أن يكون بيان الحق بمشهد من الناس ليشاهدوا الحق وتقوم عليهم الحجة، كما قال موسى حين واعد فرعون: ﴿ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَنۡ يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ [طه:٥٩]". أي وقت ما يحشر الناس؛ فإن الدليل مع حضور الناس أدعى لهدايتهم.

"فحين حضر الناس وأحضر إبراهيم قالوا له: ﴿ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا ﴾ أي: التكسير ﴿ بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴾ ؟ وهذا استفهام تقرير، أي: فما الذي جرَّأك، وما الذي أوجب لك الإقدام على هذا الأمر؟".

أي لا يسألونه ليعرفون الحقيقة، هُم مقرِّرون أنَّ هذه هي الحقيقة.

"فقال إبراهيم والناس شاهدون: ﴿ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا ﴾ أي: كسرها غضبا عليها، لما عُبدت معه، وأراد أن تكون العبادة منكم لصنمكُم الكبير وحده، وهذا الكلام من إبراهيم، المقصد منه إلزام الخصم وإقامة الحجة عليه، ولهذا قال: ﴿ فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾ وأراد الأصنام المكسرة اسألوها لِمَ كسِّرت؟ والصنم الذي لم يُكسَر، اسألوه لأي شيء كسرها، إن كان عندهم نطق، فسيجيبونكم إلى ذلك، وأنا وأنتم، وكل أحد يدري أنها لا تنطق ولا تتكلم، ولا تنفع ولا تضر، بل ولا تنصر نفسها ممن يريدها بأذى.

﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ أي: ثابت عليهم عقولهم، ورجعت إليهم أحلامهم، وعلموا أنهم ضالون في عبادتها، وأقروا على أنفسهم بالظلم والشرك، ﴿ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ فحصل بذلك المقصود، ولزمتهم الحجة بإقرارهم أن ما هم عليه باطل وأن فعلهم كفر وظلم، ولكن لم يستمروا على هذه الحالة،

ولكن ﴿ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ ﴾ أي: انقلب الأمر عليهم، وانتكست عقولهم وضلت أحلامهم، فقالوا لإبراهيم: ﴿ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ فكيف تهكم بنا وتستهزئ بنا وتأمرنا أن نسألها وأنت تعلم أنها لا تنطق؟

فقال إبراهيم –موبخا لهم ومعلنا بشركهم على رءوس الأشهاد، ومبينا عدم استحقاق آلهتهم للعبادة–: ﴿ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴾ فلا نفع ولا دفع.

﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ **أي: ما أضلكم وأخسر صفقتكم، وما أخسَّكم، أنتم وما عبدتم من دون الله، إن كنتم تعقلون عرفتم هذه الحال، فلما عُدِمتم العقل، وارتكبتم الجهل والضلال على بصيرة، صارت البهائم، أحسن حالا منكم".**

أصروا لمجرد أنه رأيهم وأنهم اعتادوا عليه وألفوه.

"فحينئذ لما أفحمهم، ولم يبينوا حجة، استعملوا قوتهم في معاقبته، -القوة السبعية، عندهم قوة يستعملونها على أهل الحق- **فـ** ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ **أي: اقتلوه أشنع القتلات، بالإحراق، غضبا لآلهتكم، ونصرة لها. فتعسا لهم تعسا، حيث عبدوا من أقروا أنه يحتاج إلى نصرهم، واتخذوه إلها، فانتصر الله لخليله لما ألقوه في النار وقال لها: ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ فكانت عليه بردا وسلاما، لم ينله فيها أذى، ولا أحس بمكروه.**

﴿ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا ﴾ **حيث عزموا على إحراقه،** ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ **أي: في الدنيا والآخرة، كما جعل الله خليله وأتباعه، هم الرابحين المفلحين".**

فليبشر كل من كان على **التوحيد** وعلى الحق أنه سيكون بأمر الله من **الرابحين المفلحين**، وليترك عنه الآراء والحماس، وليترك عنه ما ألفه الخلق وما اعتادوا عليه وما اتفقوا عليه، إنما السنة والكتاب يقودانا إلى الله.

"﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا ﴾ وذلك أنه لم يؤمن به من قومه إلا لوط عليه السلام قيل: إنه ابن أخيه، فنجاه الله، وهاجر ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ **أي: الشام،** أسأل الله عزّ وجلّ أن يرفع عن أهلها وأن يجمعهم على السنة ويردّ عنهم شرّ الأشرار ويزيل عنهم الظلم ويحفظ دماءهم وأعراضهم، اللهم آمين.

فغادر قومه في " بابل " من أرض العراق، ﴿ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [العنكبوت:٢٦]، **ومن بركة الشام، أن كثيرا من الأنبياء كانوا فيها، وأن الله اختارها، مهاجرا لخليله، وفيها أحد بيوته الثلاثة المقدسة،** - أسأل الله أن يحررها من أيدي اليهود المغتصبين — **وهو بيت المقدس".**

"﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ ﴾ حين اعتزل قومه ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ **ابن إسحاق** ﴿ نَافِلَةً ﴾ **بعدما كبر، وكانت زوجته عاقرا، فبشرته الملائكة بإسحاق،** ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود:٧١] **ويعقوب هو إسرائيل،** إسرائيل اسم ليعقوب عليه السلام، ولذلك هذه الدولة -دولة الصهاينة- دولة اليهود

وليست إسرائيل، وإسرائيل كلمة يجب أن يكون معناها في قلوبنا حسن، لأن يعقوب هو إسرائيل، وهذه الدولة الصهيونية تستعمل كلمة إسرائيل من أجل أن تضفي على نفسها الشرعيَّة، وهم شرذمة.

أسأل الله عزَّ وجلَّ أن يرد شرَّهم ويقوِّي المسلمين، وهم أذلَّة إذا كان أهل التوحيد متمسِّكين بتوحيدهم، إذا كان أهل الإسلام متمسكين بدينهم.

الذي كانت منه الأمة العظيمة، وإسماعيل بن إبراهيم، الذي كانت منه الأمة الفاضلة العربية، ومن ذريته، سيد الأولين والآخرين".

إذن إسحاق وراءه يعقوب، ويعقوب وراءه الأمة العظيمة أمه موسى، وإسماعيل بن إبراهيم وراءه الأمة الفاضلة العربية ومن ذريته سيد الأولين والآخرين، إذن معنى ذلك أن إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء.

"﴿ وَكُلًّا ﴾ من إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿ جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ أي: قائمين بحقوقه، وحقوق عباده، ومن صلاحهم، أنَّ جعلهم أئمَّة يهدون بأمره، -يهدون بأمره وليس بأهوائهم- **وهذا من أكبر نعم الله على عبده أن يكون إماما يهتدي به المهتدون،**-اللهم اجعلنا للمتقين إمامًا، آمين.- **ويمشي خلفه السالكون، وذلك لما صبروا، وكانوا بآيات الله يوقنون". –** يصبرون على امتثال أمر الله، ويوقنون أن الحق فيما أمر الله.-

"وقوله: ﴿ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ أي: يهدون الناس بديننا، لا يأمرون بأهواء أنفسهم، بل بأمر الله ودينه، واتباع مرضاته، ولا يكون العبد إماما حتى يدعو إلى أمر الله".

فإذن أنت تريد أن تُقَيِّم الطريق الذي تسير فيه، أو الطريق الذي ترى أحدًا يدعوك إليه، انظر:

- هل يأمرك بقال الله وقال رسوله؟
- وهل يمحِّض لك النصيحة بما ورد في كتاب الله؟
- وليس الأمر فيه أهواء؟

إذن هذا طريق الأنبياء.

"﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ﴾ يفعلونها ويدعون الناس إليها، وهذا شامل لجميع الخيرات كلها، من حقوق الله، وحقوق العباد.

﴿ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ﴾ هذا من باب عطف الخاص على العام، -أي فعل الخيرات عام، وخاصة إقام الصلاة وإيتاء الزكاة- **لشرف هاتين العبادتين وفضلهما، ولأن من كملهما**

كما أمر، كان قائما بدينه، ومن ضيعهما، كان لما سواهما أضيع، ولأن الصلاة أفضل الأعمال، التي فيها حقه سبحانه وتعالى، والزكاة أفضل الأعمال، التي فيها الإحسان لخلقه".

"﴿ وَكَانُواْ لَنَـا ﴾ -أي إبراهيم عليه السلام وذريته من الأنبياء- **أي: لا لغيرنا ﴿ عَـٰبِدِينَ ﴾ أي: مديمين على العبادات القلبية والقولية والبدنية في أكثر أوقاتهم، فاستحقوا أن تكون العبادة وصفهم، فاتصفوا بما أمر الله به الخلق، وخلقهم لأجله".**

﴿ وَكَانُواْ لَنَـا عَـٰبِدِينَ ﴾ العبادات القلبية والقولية والبدنية، وهذه ثلاثة أنواع من العبادات المطلوب منا أن نداوم عليها:

١. قلوبنا إنابة وخشية وتعظيمًا
٢. وألسنتنا ذكرًا
٣. وأبداننا طاعة وعبادة وصلاة؛ وخلقهم لأجله وهو العبادة.

أسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعل حبَّنا لهؤلاء وذِكرَنا لهم وثنائنا عليهم قُربة إليه، وأن يكون سببًا لجمعنا معهم ومع نبينا صلى الله عليه وسلم.

أسأل الله عزَّ وجلَّ أن نكون ممن انتفع بالقرآن، فكان القرآن الكريم ربيع قلبه ونور صدره وجلاء حزنه وهمِّه. اللهم آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.